وقد كان العرب فى الجاهلية إذا فرغوا من حجهم ، وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل ؛ وقيل : عند البيت يذكرون مفاخر آبائهم ومآثرهم ، وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول أحدهم : كان أبى كبير الجفنة رحب الفناء ، يقرى الضيف وكان كذا وكان كذا ، ويتناشدون الأشعار فى ذلك ويتكلمون بالمنظوم والمنثور من الكلام الفصيح وغرضهم الشهرة والسمعة والرفعة بذكر مناقب أسلافهم وآبائهم ، فلما من الله عليهم بالإسلام حرمت عليهم هذه الآية الكريمة ذلك وأمرتهم أن يذكروا الله عقب أداء مناسكهم كذكرهم آباءهم أو أشد ذكراً .

قال ابن عباس : معناها فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء ، وذلك أن الصبي أول ما يفصح بالكلام يقول : أبه ، أمه لا يعرف غير ذلك فأمرهم أن يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء أو أشد ذكراً ، لأنه هو المنعم عليهم وعلى الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقاً .

وقد سئل ابن عباس عن هذه الآية فقيل : قد يأتى على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أمه ، فقال : ليس كذلك ، ولكن أن تغضب لله عز وجل إن عصى أشد من غضبك لوالديك إذا شتما .

جواز الذكر جهراً :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا : مجنون » رواه الطبرانى والحاكم وصححه الحاكم .

وقد استدل العلماء بهذا الحديث على جواز الذكر جهراً حتى يقول الذين لا رغبة لهم فى الذكر أو المنافقون : مجنون ، بسبب مداومته على الذكر واشتغاله بطاعة الله عز وجل .

وقد دأب المشتغلون بالمعاصى على السخرية من أهل الطاعات والاستهزاء بهم ليردوهم عن طاعتهم . كما حصل مثل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستهزأ به الكفار ونسبوه إلى الجنون فبرأه الله مما قالوا ونصره عليهم ، وكفى أذاهم عنه . وقد سجل القرآن الكريم ذلك . فقال جل وعلا « **إنا كفيناك المستهزئين** » . (الحجر — ٩٥)